مجلة فصل الخطاب Journal of Faslo el-khitab
ISSN:1071-2335/ E-ISSN:2602-5922/ Legal Deposit N°: 2012-1759
مجلد 11، عدد رقم: 04، ديسمبر 2022، صص: 95- 110

تاريخ الاستلام(2022/07/07)تاريخ القبول (2022/11/11)تاريخ النشر (2022/12/30)

استراتيجية القراءة عند هانس روبرت ياوس من خلال كتابه: " جمالية التلقي من أجل تأويل جديدللنص الأدبي "

The reading strategy of Hans Robert Jaus's Book: The aesthetic of reception for a new interpretation of the literary text

عدلان رويدي
جامعة محمد الصديق بن يحي، جيجل(الجزائر)، adlene.rouidi@univ-jijel-dz

ملخص:

هانس روبرت ياوس من النقاد الكبار في النقد الغربي المعاصر ومدرسة كونسطانس على وجه الخصوص، وقد ألّف العديد من الكتب النقدية، في الدراسات السردية والشعر، وتاريخ الأدب، والقراءة وتحليل الخطاب. يحاول هذا المقال إلقاء الضوء على مشروع القراءة عند هانز روبرت ياوس، وهذا من خلال الوقوف على تقديم هذا الكتاب، ثم أهم المفاهيم النقدية الواردة في كتابه هذا، كمفهوم التلقي والنص والقارئ.

كلمات مفتاحية: القراءة، هانزروبرت ياوس، النص، الخطاب، القارئ ، التلقي.

Summary:

Hans Robert Jauss one of the great critics of contemporary western criticism and constance school in particular, he has authored many critical books , on narrative studies ,poetry,Literary history ,Reading and discours analysis. This Article attempts to shed light Reading Project of Hans Robert Jauss,this is through introducing this book, then the most important Critical Conscepts Contained in this book; as the conscept of reception; Text ; and the reader

Keywords: Reading; Hans Robert Jauss; Text; Discours; reader; reception.

المؤلف المرسل: عدلان رويدي، الإيميل: adlene.rouidi@univ-jijel-dz

1. مقدمة:

يعتبر هانز روبرت ياوس Hans Robert Jaussمن القامات النقدية الشامخة ضمن النقد الغربي المعاصر وفي ألمانيا خصوصا، وهو باحث متخصص في علم الجمال الأدبي، ومن الدارسين الأكثر تأثيرا في ميدان تاريخ الأدب، وهو أحد كبار المنظرين لنظرية القراءة والتلقي في ألمانيا، وأحد أعمدتها الرئيسية التي شيدت هذا الصرح العلمي والمنهجي، ويظهر هذا جليا من خلال ما خلف من كتب ومدونات نقدية، وأفكار وتصورات عميقة تتعلق بالتاريخ، والأدب، والفن، والجمال، واللغة، ومسائل أخرى كثيرة ومعقدة، لذلك فهو يمثل ثورة في الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة، لذلك اهتم الكثير من الدارسين والمختصين في حقل الأدب والنقد بترجمة كتبه إلى لغات عديدة، كما عكفوا على دراستها وتحليلها، من أجل الاستفادة منها في تقديم مقاربات جديدة للنصوص الأدبية تكون أكثر فعالية ونجاعة.

ويعتبر كتابه "جمالية التلقي من أجل تأويل جديد للنص الأدبي" من المدونات النقدية الأكثر تأثيرا في الساحة النقدية المعاصرة، نظر لما يحمله هذا الكتاب من مفاهيم ومصطلحات نقدية نظرية، مرتبطة بفعل التلقي والتأويل ونشاط الفهم، ومجموعة من التصورات الأخرى المرتبطة بحقل النقد والقراءة، وقد ازدادت أفكار ياوس Jauss أهمية، خصوصا مع تفعيل مشروع القراءة والتلقي، لذلك لقيت هذه المدونة النقدية اهتمام الكثير من الباحثين والمختصين في مجال الأدب والنقد على اختلاف مشاربهم المعرفية، وتياراتهم الفكرية.

والفضاء النقدي العربي المعاصر كان مواكبا لهذه التحولات الجديدة، التي مسّت الخطاب النقدي في أوروبا وأمريكا، لذلك تلقي هذا المشروع القرائي الجديد بتفاعل شديد، ضمن الأوساط النقدية والأدبية، بحثا عن أنوار جديدة في فهم وقراءة النصوص، ومن أجل مواكبة التطورات الحاصلة في الساحة النقدية الغربية، فكانت عملية الترجمة الجسر الرابط بين الآنا والآخر.

وفي ظل هذه السياقات المختلفة أمكننا طرح العديد من التساؤلات المرتبطة بهذه المدونة النقدية، والمتمثلة فيما يلي: ماهي أهم المفاهيم النقدية الواردة في هذا

الكتاب؟ وما هو تصوّر ياوس لفعل القراءة؟ وما هي استراتيجية القراءة وآلياتها من منظور هذا الباحث؟

مختلف هذه التساؤلات نحاول الإجابة عنها من خلال هذا الورقة البحثية.

2-المرجعيات الفلسفية والفكرية والمعرفية لمشروع هانز روبرت ياوس Hans Robert Jauss:

تعدّدت مرجعيات هذا المعمار النقدي وتنوّعت مشاربه العلمية والفلسفية، بتنوع اهتماماته المعرفية، ومن خلالها انطلقت جهود ياوسHans Robert Jauss، وتأسس خلالها مشروعه النقدي، المتعلق بنظرية القراءة والتأويل، هذا المشروع الذي أسس بنيانه المنهجي والعلمي العديد من الأفكار والنظريات العلمية، والفلسفية التي جاءتضمن حقب زمنية مختلفة، حيث نهل هذا العقل النقدي من الدرس اللساني الحديث، على غرار أغلب النقاد والدارسين المختصين في ميدان النقد الأدبي خصوصا الفتح المعرفي الذي جاء به دي سوسيرDe Saussure في دراسته للغة وثنائياته الشهيرة، إضافة إلى مختلف فروع علم اللغة،والبلاغة القديمة والجديدة، وأعمال الشكلانيين الروس، والدرس السيميائي بمختلف مجالاته، سواء في فرنسا أو أمريكا كما درس تاريخ الأدب الأوروبي والألماني، واستفاد من الفلسفة اليونانية القديمة وبلاغتها، والفلسفات الألمانية الحديثة والمعاصرة، خصوصا الفلسفة الظاهراتية Phénoménologie، التي تعدّ أحدالمصادرالرئيسية التي أخذ عنها ياوس Jauss في تشكيل نظريته النقدية، ومن أهم أعلامها إدموند هوسرل Hisseril Edmund ورومان إينجاردن Ingarden، إضافة إلى مارتن هيدغيرHeidggerMartin، وفيلسوف التأويل فريديرك شلاير ماخرFrederic Schleiermache وهانز جورج غادامير Hanz Georg Gadamar، « الذي استوحى منه ياوس "جدلية السؤال والجواب" في تأويل الأدب»[1] بالإضافة إلى مصطلح الأفق التاريخي، من دون إغفال فلسفة اللغة، وفلسفة الجمال والفلسفة الهيجيلية والنتشويةوالماركسية والكانطية، ومدرسةالتحليل النفسي مع فرويدFreu، فكل هذه المرجعيات الفلسفيةنهل منها هانز روبرت ياوس Hans Robert

Jaussمن زاوية فهم فعل القراءة والنشاط التأويلي، ووضع استراتيجية فعّالة تحقق جمالية التلقي.

وفي سياق هذه الرحلةالعلميةالشاقة في مضمارتاريخ الأدب وعلم الجمال والفلسفة الظاهراتية، وعلوم اللغة، انطلق هذا الباحث في تشييد صرحه النقدي والمعرفي«فمن قلب جامعة كونسطانس بألمانيا الفيدرالية سابقا أطلق ياوس مشروعه النظري والمنهجي باسم " جمالية التلقي" الذي أجرؤ على التكهن بأنه حقيق فعلا بالإسهام في حركة تطوير ممارستنا للنقد»[2]، كما يشير إلى ذلك مترجم الكتاب.

حيث حاول خلالها ياوسHans Robert Jaussتشكيل مشروع يخص نظرية القراءة محاولا تقديم آليات جديدة في ممارسة نشاط القراءة، داخل النصوص الأدبية ليخرج هذا النشاط من فضاء القراءة السلبية العقيمة إلى فضاء أوسع، وهو فضاء القراءة الولودة والمنتجة،حيث يسبح بها فيعوالم رحبة من الرموز والدلالات، كما يفسح المجال للمتلقي من أجل ممارسة طقوسه القرائية، وفرض أفقه الخاص في عملية التأويل والفهمالتي يخص النصوص الأدبية طبعا.

3-التعريف بالكتاب:

أنجز هانز روبرت ياوسHans Robert Jauss العديد من الدراسات، كما كتب الكثير من المقالات المتعلقة بنظريته في القراءة، التي حاول فيها تبسيط المفاهيم النظرية المتعلقة بجمالية الاستقبال، وكان من أهمها كتاب "جمالية التلقي من أجل تأويل جديد للنص الأدبي"، الذي ترجمه الناقد والمترجم المغربي رشيد بن حدّو، ونشر ضمن منشورات المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة، في طبعته الأولى عام 2004، هذا الكتاب يطرح العديد من التصورات الجديدة التي جاء بها ياوسJauss، من أجل تشكيل نظرة جمالية جديدة، تستند لعنصر المتلقي وحواره مع العمل الفني، مفصلا في مختلف جزئياتها، ومن بين أهم هذه المصطلحات مصطلح الجمالية، وأفق التوقعات، وتاريخ الأدب والقارئ والجمهور، لذلك ينبغي التفصيل فيها، ولكن قبل الانطلاق في ذلك ينبغي الإشارة إلى مقدمة الكتاب.

3-1-مقدمة الكتاب:

يعدّ الخطاب المقدماتي من أهمّ فضاءات النص الموازي، التي يمكن من خلالها الولوج إلى عوالم أي كتاب مهما كان مجال تخصصه وجنسه الأدبي، حيث يمثل عتبة لها أهمية قصوى في أيّ إمكانية قرائية، ف«هو أحد الأمكنة "الطريفة" للنص الموازي التي لا تخلو من "أسرار" تضيء النظام والتقاليد الثقافيين لمرحلة تاريخية محددة»[3] وتسهّل على المتلقي الانطلاق في المغامرة القرائية وبناء مشروع الفهم، وهو مؤشّر نصي« وواحد من العتبات النصية المحيطة بالنص والمساهمة في فهمه وتحليله»[4] ومعرفة المقاصد والأسباب والدواعي التي جعلت المؤلف يؤلف كتابه والأهداف التي يرمي إلى الوصول إليها من خلال بحثه، ومنهجه المتبع في هذه الدراسة.

ومقدمة كتاب ياوس Jauss " من أجل جمالية الاستقبال" جاءت بقلم المترجم رشيد بن جدو، الذي كان قريبا جدا من المؤلف وحضر بعض محاضراته لمّا جاء إلى المغرب وهو المدرّس لهذا المقياس في الجامعة المغربية، وقد منحه ياوس Jaussالإذن لترجمة هذا الكتاب النقدي، حتى يستفيد منه الدارسون والنقاد في المغرب والبيئة العربية ككل.

لقد لاحظ المترجم رشيد بن جدو الفروق الكبيرة بين تاريخ الأدب في أوروبا وألمانيا خصوصا، ونظيره في البيئة العربية الذي يفتقد للتخصيص والتفصيل، وبالأخص على المستوى الجمالي، «فمازال التأريخ للأدب المغربي والعربي تتحكم فيه روح الصنافة الوضعية المحتفية بالظواهر العامة والمشتركة على حساب السمات الخاصة، التي هي ما ينبغي الاهتمام به لأنه ما يصنع أدبية النصوص وهذه الظواهر نفسها لا يمكن رصدها من زاوية جمالية سانكرونية بل من زاوية حدثية دياكورنية بحكم تبعيتها لحيثيات سياسية»[5]، وهذه الحلقة المفقودة في مجال دراسات تاريخ الأدب العربي لذلك ينبغي إعادة النظر في مناهج دراسة تاريخ الأدب ومعاييره الجمالية، من أجل تجاوز تلك الدراسات والهنّات المنهجية التي وقعت فيها، وهذا يتمّ عبر العودة إلى نظرية التلقي عند ياوس Jauss فهي «كفيلة بتخليص الدرس الأدبي عندنا من بعض مآزقه»[6]، بل وتمنح الناقد والدارس العربي فرصة جديدة من أجل

قراءة جديدة لتراثنا العربي الزاخر بالكنوز الجمالية والمعرفية، قراءة منتجة تساهم في إثراء النصوص من حيث المعنى والدلالة، «إنّ جمالية التلقي إذن دعوة إلى تأويل جديد للنص الأدبي يروم استجلاء سمات التفرد والابداع فيه (أو نقيضيهما الاتباع والابتذال) لا باستنطاق عمقه الفكري في حدّ ذاته أو وصف سيرورة تشكله الخارجي كما هي في ذاتها، وإنما بتحديد طبيعة وقعه وشدة أثره في القرّاء والنقاد من خلال فحص ردود فعلهم وخطاباتهم، فهي إذن نقد للنص من خلال نقد تلقياته»[7]،وبهذه المنهجية في القراءة يتمّ بعث الأدب العربي القديم من جديد، وفتحه على سياقات تاريخية عديدة عبر منح مهام جديدة للنقد الأدبي تتجاوز مهامه التقليدية الموكلة إليه، لتعمل على «تقدير القيمة الجمالية للأدب بتحديد نوعية آثاره في القرّاء وشدّتها، اللتين يمكن استنباطها من خطاباتهم النقدية، فكلما كان أثره قويا، أي بقدر انزياح النص عن معايير القارئ وتعديله لأفق توقعاته كان هذا النص ذا قيمة فنية عالية، فالمسافة الجمالية بين أفق النص وأفق المتلقي هي خير ما يمكن الاحتكام إليه لتحديد جمالية الأدب»[8]، وهذه الرؤية التنويرية تمثل إضافة نوعية للنقد العربي المعاصر، وفتحا معرفيا جديدا يمكن عبرها تطوير عملية القراءة، وطرائق تحليل النصوص الأدبية.

هذا الطموح المعرفي لم يكن هدف المترجم فحسب، بل حتى المؤلف ياوس Jauss الذي كان يهدف إلى تعميم نظريته ومنهجه في دراسة تاريخ الأدب على مختلف الآداب العالمية، ومن بينها دراسات تاريخ الأدب العربي، وهذا من بوابة الترجمة، لذلك ففضل المترجم على الأدب العربي كبير جدا.

يشتمل الكتاب على أربعة فصول رئيسية وهي:

-حين يتحدى تاريخ الأدب النظرية الأدبية.

-الإنتاج والتلقي أسطورة الأخوين العدوين.

-جمالية التلقي والتواصل الأدبي.

-جمالية التلقي منهج جزئي في هذا الفصل «يتولى ياوس الردّ على بعض الطعون والانتقادات التي وجّهت له في ألمانيا وخصوصا ألمانيا الشرقية سابقا ذات

الإيديولوجية الماركسية»[9]، هذه الفصول المهمة من الكتاب أسهب ياوس Jauss في التفصيل فيها وشرحها، ليوضح أهم الأفكار والتصورات الواردة ضمن مشروعه النقدي، واستراتيجيته في قراءة النصوص الأدبية.

4-في نشأة مصطلح التلقي:

إنّه لمن العسير الوقوف على فهم الجهاز الاصطلاحي لنظرية التلقي والاستقبال، ولا يمكننا البحث في مقولاتها المركزية، وتحليلها وشرحها، دون الوقوف على المصطلح ذاته في أبعاده الدلالية ومرجعياته الثقافية التي أنتجته، « فنظرية التلقي، ولدت في ألمانيا منبثقة بشكل مباشر من معطيات الظاهراتية والتأويلية، ومن أهمّ من مثّلها:(آيزر، وياوس، وفيش)»[10]، فالبيئة التي ولد فيها هذا المصطلح تحمل أصولا معرفية ومرجعيات فلسفية، وثقافية، متميزة، ومن ثم فمنطلقاتها المنهجية متميزة هي الاخرى، حيث عملت على إعطاء الاهتمام للقارئ، في عملية فهم النص الأدبي، وتأويله ومن ثمّ إنتاج الدلالة، وهذا عبر نشاط القراءة، التي هي من أهم المهارات وأقدرها على اقتحام العوالم الداخلية للنصوص، واكتشاف أنساقها المضمرة والعناصر الفاعلة فيها، فهي تعتبر «فعلا إبداعيا كحركة تجاوزية مستمرة تطوي ذاتها، لتخلف نسقا جديدا تستمر من خلاله مطاردة المدلول، بعد أن حاصرت المعجمية الدال»[11]، وهي عملية عقلية، وفعل ذهني، ونشاط بصري يقوم على عملية الفهم والتفسير من قبل القارئ، وهي فعل «يتجاوز مهمة الفهم إلى الاكتشاف...الانتخاب وإعادة التشكيل وكلها خطوات تنصب على جملة الأثر، أي تصيب أركانه في ذات الآن في تقاطعها وتفاعلها»[12]، من قبل القارئ الذي يعيد إنتاج النص ليشكّل لنا فهما جديدا له، عبر عملية حوار منهجي ومعرفي مع النص ذاته، وفق أسلحة إبستمولوجية وآليات علمية، «فالنصوص لا تكتب لتوضع في الرفوف: إنها سيرورات دلالية كامنة لا تتحقق ولا تنفعل إلاّ بالقراءة وفي القراءة»[13]، وعبر القارئ الذي يبث رؤية جديدة في فهم النص الأدبي، وهذا ما يولّد فاعلية وإنتاجية على مستوى الدلالة وإنتاج المعنى، وهذه المهمة عسيرة جدا، «ففعل القراءة من هذه الوجهة مكابدة مستمرة تصاحب الانسان من أول سؤال يتفوّه به إلى الآخر»[14]، ولا يتمكن منها إلاّ القارئ المتخصص، والمتمرّس

صاحب المهارة والخبرة والذوق الراقي، لأنه بانعدام الذوق، تغيب الرغبة ويفشل مشروع التأويل، وتتوقف مغامرة القراءة والبحث عن المعنى، ولن يكون هنالك تفاعل بين النص والمتلقي هكذا أصبحت القراءة عنصرا مهما في مقاربة الظاهرة الأدبية ومصطلحا بديلا لمصطلح النقد في المشهد النقدي المعاصر، الذي يعدّ أشد سلطة منها، بأحكامه القاسية أحيانا وأفقه الضيق في أحايين أخرى، فينفتح معها أفق النص، ويتوسع معه نطاق الفهم والتأويل.

5-ياوسJauss والدعوة لتغيير نموذج الثقافة الأدبية:

يعد ياوسJauss من الذين دعوا إلى تغيير القوانين التي تحكم الظواهر الأدبية خصوصا على مستوى بنياتها الجمالية والفنية، فالقوانين القديمة حسبه لم تعد مجدية في الوقت الحالي، الذي يشهد العديد من التحولات والتغيرات، التي شملت الأعمال الأدبية، «فقد ألمّ بالخطوط الأساسية لتاريخ المناهج الأدبية والنقدية وانتهى إلى أنّ هناك بدايات فعلية لثورة أدبية اعتمادا على فكرتي النموذج والثورة العلمية التي استمد هما من كتابات توماس مان في بنية الثورات العلمية بوصفها إنجازا شبيها بإنجازات العلوم الطبيعية»(15)، وهذا ما استدعى منه العمل على تغيير أنماط القراءة وعاداتنا في التعامل مع النصوص الأدبية، استجابة لهذه التحديات الجديدة، التي تواجه الدارسين والنقاد، في ظل تراجع التيار البنيوي، الذي صار حسبهم عقيما، ولا يستجيب لتطلعات الباحثين في حقل الأدب والعلوم الاجتماعية والإنسانية عموما. ولا يحفر في المعاني الداخلية للنصوص الأدبية، وهذا المشروع تبناه أنصار نظرية القراءة والتلقي بقيادة ياوسJauss، عبر ترسانة من المصطلحات النقدية، التي تؤسس لمنهج نقدي جديد، ينتصر للقارئ، ويمنحه كل الصلاحيات اللازمة، والحرية التامة في التأسيس لمشروع القراءة الناجحة والمنتجة.

6-الجمهور والقارئ:

يحاول ياوسJauss في هذا الكتاب أن يضبط مجموعة من المفاهيم المتعلقة بنظرية القراءة، حتى يسهل فهمها من قبل الباحثين والدارسين المتخصصين، حيث ميّز بين القارئ والجمهور وحدّد الفروق الجوهرية بينهما، فالاختلاف يكمن بين

مستهلك للأدب عموما، ومتلقي حقيقي يرجو المتعة والمنفعة ويحقق الغرض من القراءة، كما يمكن التمييز بينهما في إطار الشفوية والكتابية، فتلقي الجمهور للأدب بفنونه المختلفة يكون مركّزا على الجانب الصوتي والإيقاعي، الذي يطغى عليه الشعور الجماعي والعاطفة اتجاه العمل الأدبي، في حين مفهوم القارئ مختلف تماما ويسير في الجهة المقابلة، ف« إذا كان الجمهور تجسيدا لاتجاه شفاهي يعتمد فيه النص على خصائصه الصوتية فإنه في إطار مفهوم القراءة يكون الاعتماد على الخصائص الكتابية وتشكلاتها الخطية»[16]، فالجمهور لا يتعدى نطاق تلقيه للنص الإطار الشفوي، الذي يخلّف تفاعلا من قبله، وإثارة لعواطف وأحاسيسه، فيستفز حسه الموسيقي الرقيق بأصواته الرنانة وموسيقاه العذبة، وهذا التفاعل لا يلج إلى أعماق النص حيث يبقى حبيس السطح فقط، وصياغته الموسيقية الجذابة، أمّا القارئ فيركز على الكتابة أو التثبيت الفعلي للخطاب بواسطة اللغة باصطلاح بول ريكورPoul Ricoeur، فيتحول هذا الخطاب الشفوي إلى نص مكتوب حامل لقيم من المعاني والدلالات، وهذا القارئ لا يمكن أ ن يحمل صفات الجماعة، فالقراء هم «عينات منعزلة عن بعضها البعض أو هموما تجسيد لفردية التلقي وخصوصيته»[17]، فلكل قارئ سمات وخصائص تميزه عن غير من القراء، من حيث الأفق المعرفي والثقافي والخبرة والتجربة، ولكل واحد طقوسه المنعزلة سواء الجسدية أو الروحية، التي تعينه على الولوج إلى باطن النص، وفق آلياته الخاصة، وأدواته المنهجية التي تعينه علي مواصلة مغامرته القرائية، ومداعبة النص وكسب حميميته من أجل الوقوف على تفاصيله الدقيقة التي تعينه على الوصول إلى المعنى، وهذه هي الغاية من دراسة العمل الأدبي الذي ينبغي «أن يدرس بوصفه عملية جدل بين الإنتاج والتلقي، بين الذات المنتجة والذات المستهلكة بمعنى آخر التفاعل بين المؤلف والجمهور»[18]، وهذه مهمة القارئ التي تختلف عن مهمة الجمهور، لأن مهمته تسير في اتجاه آخر معادي، وغاية أخرى مختلفة عن غاية الجمهور، الذي لا تتجاوز رغبته لحظة الانفعال لتصل للحظة التفاعل، لأن هذه اللحظة تقتضي قارئا منتجا وإيجابيا،

لا قارئا مستهلكا وسلبيا، كما تفتح الطريق أمام النص والقارئ ذهابا وأيابا، لا ذهابا من غير رجعة كما عند الجمهور.

إنّ القارئ أصبح طرفا فاعلا في المعادلة النصية من منظور ياوسJauss، لذلك فهو مختلف تماما عن الجمهور، ومهمته عظيمة في تشييد النص بفعل استجابته الإيجابية والفعّالة.

7-جمالية الاستقبال وتاريخية النص الأدبي:

على غرار فلاسفة التأويل وفي مقدمتهم غاداميرGadamer، يرى ياوسJauss استحالة فصل النصوص والأعمال الفنية عن تاريخيتها، فهو «يؤكد على أنّ دراسة الأدب ليست عملية تنطوي على تراكم تدريجي للحقائق والشواهد التي يقررها كل جيل من الأجيال المتعاقبة للمعرفة»[19]، فالأدب تطور بشكل ملحوظ، وهذا ما يفرض نماذج جديدة مختلفة، تساير كل مرحلة من المراحل الزمنية المتعاقبة، لأن لكل نموذج تفسيراته الخاصة، وموضوعاته التي ينفرد بها هو وحده، من هنا يحاول ياوسJauss التمييز بين الجمالية والتلقي، ف«التلقي يعني الاستقبال والتملك والتبادل. أمّا الجمالية فيقصد بها: «كيفية فهم الفن عن طريق تمرّسنا به بالذات، أي بالدراسة التاريخية للممارسة الجمالية، تلك التي تتأسس عليها ضمن سيرورة(الإنتاج-التلقي-التواصل) كافّة تجليات الفن»[20]، وهو بهذا الشكل يريد أن يضفي على العمل الفني والنص الأدبي خصوصا، صبغة وجودية، ترتقي بالفن والجمال إلى مرتبة مقدسة وسامية، تجعل من الفن عامة، في ديمومة واستمرار عبر الأزمنة، وهذا كله من أجل أن يعيد لتاريخ الأدب المكانة المركزية التي يستحقها، بعد تراجعه وسقوطه، سقوطا رهيبا في القرون الأخيرة، وهذا يتمّ بنائه من خلال أمرين «الأول: الأساس المنطقي للاشتغال المستمر بالأدب مفتقد، بخاصة حين يؤخذ في الحسبان توقف أنماط التفسير القديمة، والآخر: المحافظة على نوع من الصلة الحيوية بين نتاج الماضي واهتمامات الحاضر»[21]، وبهذه الطريقة يصبح تاريخ الأدب أحد المحفزات الرئيسية لدراسة الأدب، وهذا كل كله من أجل التوفيق بين طرحات الفكر الماركسي السياقية ومقولات الشكلانيين الروس، التي تركز على الصياغة الجمالية والشكلية

للنص وكلاهما لم يهتم بالقارئ، لكن ياوسJauss لا يجعل منه عنصرا فقط، ضمن العمل الأدبي، بل ويكون مساهما في هذه التجربة الجمالية «فالعلاقة بين الأدب والقارئ تشتمل على دلالة جمالية وتاريخية وهذه الدلالة الجمالية تعتمد أول ما تعتمد على أنه بعد المرة الأولى من القراءة يقارن القارئ قيم العمل الجمالية مع أعمال أدبية مقروءة من قبل»[22]، وبهذا الشكل يكون العمل الأدبي وسيطا للخبرة الجمالية، وتاريخ الأدب دوما يسعى لتجديد قوانينه ونواميسه التي تخص الأعمال الأدبية، لتتحقق جمالية الاستقبال، من هنا يأتي بمصطلح آخر مهم ضمن نظريته وهو مصطلح أفق التوقعات.

8-هانس روبرت ياوس Jauss Hanz Robert ومفهوم أفق الانتظار:

من المفاهيم المحورية والأساسية التي تحضر ضمن المعجم النقدي لأصحاب نظرية القراءة والتلقي الألمانية، والتي تشكل محور اهتمامهم، نجد مفهوم أفق الانتظار الذي يعدّ من المفاهيم المألوفة في الدوائر الفلسفية في ألمانيا، وهذا المفهوم إعادة استنطاق وصياغة لمفهوم الأفق التاريخي لدى غاداميرGadamer مركبا بعد ذلك مفهوم الأفق «مع كلمة انتظار وقد أخذها من مفهوم (خيبة الانتظار)عند كارل بوبرKarl.R.Popper »[23]، ويحدد هانز روبرت ياوسJauss Hanz Robert أفق الانتظار في قوله: «أن تحليل التجربة الأدبية للقارئ تتلخص في النزعة النفسانية التي كانت عرضة لها لوصف متلقي العمل والأثر الناتج عنه، إذ من خلالها يتشكل أفق انتظار جمهورنا الأول بمعنى الأنظمة المرجعية المفرغة موضوعيا في صيغة، والتي تكون لكل عمل في اللحظة التاريخية التي تتجلى فيها»[24]، وهذا يتم من خلال مجموعة من الخبرات والمعارف المسبقة عن طبيعة العمل الأدبي والظروف المحيطة بمتلقيه في تلك اللحظات، حيث تبرز «نتيجة عوامل أساسية وهي: -التجربة السابقة المقدمة التي اكتسبها الجمهور عن الجنسي الأدبي ينتمي إليه.

-شكل موضوعاتية الأعمال السابقة التي يفترض معرفتها.

-التعارض بين اللغة الشعرية واللغة العلمية، أي بين العالم التخييلي والعالم اليومي[25]، وهذه العوامل كفيلة بتقديم صورة واضحة عن القارئ، والمجال الذي

يسبح فيه أفقه التفكيري، ومنطلقاته في التأويل، لكن مفهوم الأفق عند ياوسJauss يبدو غير واضح، ويتداخل مع مصطلحات أخرى كأفق التجربة، وأفق تجربة الحياة وبنية الأفق، والتغير في الأفق، وكلها مصطلحات مختلفة، والعلاقات بينها مبهمة، فكما يقول روبرت هولبRobert Holub «ربما ظهر أفق التوقعات ليشير إلى نظام ذاتي مشترك أو بنية من التوقعات، إلى نظام من العلاقات أو جهاز عقلي يستطيع فرض افتراض أن يواجه به أي نص»[26]، وهذا المعنى هو الأقرب إلى الاحتمال الصحيح حيث يمثل أفق انتظار القارئ الفضاء الذي تتمّ من خلاله عملية بناء المعنى ورسم الخطوات المركزية للتحليل ودور القارئ في إنتاج المعنى عن طريق التأويل الأدبي الذي هو محور اللذة ورواقها لدى جمالية التلقي[27]، وهذا الأفق هو الذي يوجّه عملية القراءة، وهو يختلف من قارئ لآخر، كما يختلف أفق القرّاء في أزمنة مختلفة فالقارئ الذي قرأ المعلقات في العصر العباسي يختلف عن القارئ الذي قام بتحليلها في العصر الحديث، فلكل قارئ أفقه الخاص ومقاييسه الجمالية في الحكم على الأعمال الأدبية ومن هنا فمصطلح الأفق مهم جدا لدى أنصار نظرية التلقي خاصة في توجيه عملية الفهم وتحديد الأفق التأويلي للنص الأدبي.

9-خاتمة:

في ختام هذه الورقة البحثية تم" التوصّل إلى النتائج الآتية:

1-يمكن القول أنّ هانز روبرت ياوس Jauss Hanz Robertيمثل أحد اللحظات النقدية البارزة ضمن نظرية القراءة والتلقي إلى جانب فولفغانغ آيزر Wolfgang Izer، حيث يعدّ من المؤسسين لهذه النظرية النقدية، التي شهدت معه أزهى فتراتها وتطوراتها خصوصا على مستوى المقاربة النظرية والتأصيل المنهجي للمشروع النقدي الذي يحمل معالم التجديد والاختلاف، ويكتسب مناعة علمية ونشاطا فعّالا على مستوى القراءة والتأويل، خصوصا من زاوية البحث في تاريخية النص الأدبي.

2-نهل هذا المشروع النقدي من معارف وعلوم مختلفة ومتنوعة قديمة وحديثة، كعلم التأويل، وعلم الجمال، والفلسفة الظاهراتية، إلى جانب الدرس اللساني الوصفي المعاصر، والبحوث السيميائية، إضافة إلى بحوث الشكلانيين

الروس الروسLes Formaliste Russes، حيث شكّلت مرجعا مهما لكتابه النقدي "جمالية التلقي من أجل تأويل جديد للنص الأدبي"، وقد عمل ياوس Jaussعلى طرح تصوّرات جديدة ومفاهيم دقيقة لنشاط القراءة واستراتيجيتها، تراعي خصوصية المتلقي وأفقه المعرفي والقرائي، إلى جانب استراتيجية التأويل الصحيح والفهم الصائب حيث يكون أشد تأثيرا، وأعلى ومردودية في توليد الدلالات والمعاني داخل النصوص الأدبية، ومن ثمّ يساهم في توسيع فضاء القراءة، ويفتحها على سياقات مختلفة تشكل في نهاية المطاف جمالية القراءة.

3-يعتبر مشروع ياوس Jaussطرحا جديدا ومتميزا في حقل الدراسات النقدية المعاصرة، ومقاربة النصوص خصوصا، من زاوية التأويل والفهم، وهذا من خلال تقديمه استراتيجية جديدة في تفكيك تلك الخطابات، تنطلق من السطح لتصل إلى العمق، وهذا الطموح المعرفي ليس بالسهل، ولكنه يحمل العديد من المخاطر التي يمكن أن توقع المتلقي في الفهم الخاطئ ويبقى هذا المجهود العلمي الذي أنجزه هانز روبرت ياوسJaussHanz Robert، من المجهودات الفريدة والمتميزة في النقد الغربي المعاصر.

4-بالعودة إلى كتابه "جمالية التلقي من أجل تأويل جديد للنص الأدبي" نجد الكثير من المقالات المرتبطة بنشاط القراءة وجماليتها وتاريخية النص الأدبي، حيث سخّر ياوس Jauss جل جهوده في وضع الطرائق والآليات الأكثر نجاعة، من أجل استراتيجية قرائية تكون أشد فعالية، حيث تتحقق معها جمالية النص وينجح مشروعه النقدي.

5-لقيت أطروحات ياوس Jaussرواجا كبيرا من قبل الدارسين المشتغلين في مجال البحوث النقدية والتأويلية، خصوصا المناهج ما بعد الحداثية، لذلك صار هذا الكتاب مصدرا علميا لكل مشتغل في حقل النقد الأدبي والتأويل، نظرا لدوره المهم في تقديم وطرحمفاهيم نظرية تخص عملية القراءة، واستراتيجيتها الفعّالة في فهم الخطابات الإنسانية.

مراجع البحث وإحالاته:

1. هانس روبرت ياوس: جمالية التلقي من أجل تأويل جديد للنص الأدبي، تر: رشيد بن حدو، منشورات المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط1، 2004، ص19.
2. لمصدر نفسه: ص 12-13.
3. نبيل منصر: الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2007، ص48.
4. جميل حمداوي: المرجع السابق، السّيميوطيقا والعنونة، مجلة عالم الفكر، القاهرة، مج 25، ع3، 1997ص102.
5. هانس روبرت ياوس: جمالية التلقي من أجل تأويل جديد للنص الأدبي، ص09.
6. المصدر نفسه: ص09.
7. المصدر نفسه: ص 17.
8. المصدر نفسه: ص 14.
9. المصدر نفسه: ص20.
10. محمد سالم سعد الله:سجن التفكيك الأسس الفلسفية لنقد ما بعد البنيوية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2013، ص 96.
11. حبيب مونسي: فلسفة القراءة وإشكاليات المعنى، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، ط1، 2002، ص 184.
12. حبيب مونسي: نظريات القراءة في النقد المعاصر، دار الغرب للنشر، وهران، ط1ن 2007، ص11.
13. هانس روبرت ياوس: جمالية التلقي من أجل تأويل جديد للنص الأدبي، ص 13.
14. حبيب مونسي: نظريات القراءة في النقد المعاصر، ص 11.
15. عبد الناصر حسن محمد: نظرية التوصيل الأدبي، المركز المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، ط1، 1999، ص 100.
16. المرجع نفسه: ص 96.
17. المرجع نفسه: ص 97.
18. محمد سالم سعد الله: سجن التفكيك الأسس الفلسفية لنقد ما بعد البنيوية، ص99.

19.عبد الناصر حسن محمد: نظرية التوصيل الأدبي، ص 101.

20.هانس روبرت ياوس: جمالية التلقي من أجل تأويل جديد للنص الأدبي، ص 101.

21.عبد الناصر حسن محمد: نظرية التوصيل الأدبي، ص 103.

22.المرجع نفسه: ص 106.

23.المرجع نفسه: ص 109.

24.حميد سمير: النص وتفاعل المتلقي في الخطاب الأدبي عند المعري، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000، ص 27.

25.المرجع نفسه: ص 27-28.

26.روبرت هولب: نظرية التلقي مفاهيم نقدية، تر: عز الدين إسماعيل، المكتبة الآكاديمية، القاهرة، مصر، ط1، 2000، ص 15.

27.بشرى موسى صالح: نظرية التلقي أصول وتطبيقات، المركز الثقافي العربي، بيروت-الدار البيضاء، ط1، 2003، ص 45.

قائمة مراجع البحث:

1-هانس روبرت ياوس: جمالية التلقي من أجل تأويل جديد للنص الأدبي، تر: رشيد بن حدو، منشورات المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط1، 2004.

2-نبيل منصر: الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2007.

3-جميل حمداوي: المرجع السابق، السّيميوطيقا والعنونة، مجلة عالم الفكر، القاهرة، مج 25، ع3، 1997.

4-محمد سالم سعد الله: سجن التفكيك الأسس الفلسفية لنقد ما بعد البنيوية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2013.

5-حبيب مونسي: فلسفة القراءة وإشكاليات المعنى، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، ط1، 2002.

6-حبيب مونسي: نظريات القراءة في النقد المعاصر، دار الغرب للنشر، وهران، ط1ن 2007.

7-عبد الناصر حسن محمد: نظرية التوصيل الأدبي، المركز المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، ط1، 1999.

8-حميد سمير: النص وتفاعل المتلقي في الخطاب الأدبي عند المعري، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000.

9-روبرت هولب: نظرية التلقي مفاهيم نقدية، تر: عز الدين إسماعيل، المكتبة الآكاديمية، القاهرة، مصر، ط1، 2000.

10-بشرى موسى صالح: نظرية التلقي أصول وتطبيقات، المركز الثقافي العربي، بيروت-الدار البيضاء، ط1، 2003.